



لقاء

"إنه الراهب يللي بيغني"

اعداد: ميليسا صياح
غايل مارون،
ماري كليز اشقر

يسوع هو المتحدّي الأكبر في تاريخنا البشري

عين الخروبّة تلتقي
أب
يوحنا الخوند

تنسكته

رغم أن حياة التنسك ليست سهلةً، وتتطلبُ موافقة الرئيس العام، فإن اتّخاذ قراره بالتنسك لم يكنُ صعباً، "لقد كنتُ واعداً ربّي ورهبانيّتي بأن أتفرّغ للتعليم طوال ٢٥ عاماً، لعلّي أفي لرهبانيّتي ما تكلفتُ عليّ من تعليم وثقيف. وقدّرتني الربّ، فعلمتُ ٢٧ عاماً في كلية اللاهوت الجبرية في جامعة الروح القدس - الكسليك وفي مراكز لاهوتية أخرى. ولما تأمّن من يكمل عني التعليم، طلبتُ الانقطاع الى الخلوّة والصلاة الكاملة. وهذا من صلب تراثنا الرهباني، لأنّ حياة المحبسة تتويج طبيعيّ لحياة الراهب في الدير. لذلك لم أجدّ أية صعوبة، بل وجدتُ فرحاً كاملاً عندما تسلّمت من سلطتي الرهبانية العليا الجواب عن طلبتي، وكان إيجابياً".

أكثر ما يحبه

أكثر ما يحبه الأب الخوند "هو من أحبنا الحبّ كلّهُ، حتى آخر نسمةٍ على الصليب. ومن خلال يسوع، أحبّ الله الأب الذي حدّثنا عنه مُطولاً في حياته، وأحبّ الزوج القدس الذي كان محور حديث يسوع مع تلاميذه في عشائه الأخير معهم، ليلة الآمه وموته". ويذكر أيضاً "والديّ اللذين ربّاني على هذا الحبّ، وخوري ضيعتنا صيدون الذي أنشأني على حبّ الأسرار المقدّسة". وتشمل لائحة الأب الخوند: "رهبانيّتي التي غمرتني بالنعم الإلهية، وجميع إخوتي وأخواتي الذين التقيتهم في حياتي وتعزّفتُ إليهم. وأحبّ أيضاً كلّ إخوتي المسلمين والدروز واليهود، وأصلي كلّ يوم لأجلهم كي يتعرّفوا إلى يسوع المسيح ويحبّوه كما أنا أحبّه".

صلاته

يقول: "أحاول، بكلّ جهدي وملء وعيي وخبّي، أن أكون مع الله بكليّتي، مُصلياً دائماً صلاةً ترجمتها عن الألمانية، وهي للناسيك السويسري ألاج كلاوس: "ربّي والهي، خذ مني كلّ ما يصدّني عنك؛ ربّي والهي، أعطني كلّ ما يشدّني اليك؛ ربّي والهي، خذ مني وأعطني كلّ لي لك".

موقفه من العالم

تنسكته ليس موقفاً من العالم، أي ليس اقتناعاً بأنّ العالم، بوضاياه وجماله وقبحه، لا يوصل إلى الله: "العالم لم يُزعجني يوماً بوضاياه، ولا سحرني يوماً بجماله، ولا نفّرني يوماً بشبهه، ولا تعزّرت فيه يوماً في طريقي إلى الله؛ بل كان طلبّي التنسك نابعاً من اقتناعي العميق في داخلي، ومن فرط إعجابي بسيرة أجدادنا آباء الحبساء الأبطال الذين كانوا يملأون الوادي المقدّس وادي قاديشا في الأجيال الغابرة.

هنا، في وادي طاميش الأخضر، يعيش الأب يوحنا الخوند. إنه ناسكٌ محبسة مار أنطونيوس قرب دير سينق طاميش (لرهبانية اللبنانية المارونية). يصلي، ويصلي مجدداً، يكتب القصائد الزوجية، يقرأ، يتأمل في الله، يغني له حتى الامتلاء. وهو المُلقب بـ"الراهب يللي بيغني". عالمه ليس من هذا العالم. دائماً، ترتفع عيناه إلى السماء، إلى فوق - كثيراً ومن دون كسل - قابلهنا وأتينا بالحصاد التالي...

ويبقى لي حلمٌ واحدٌ هو تلحينُ كلِّ قصائدي - وعدّها يفوقُ الخمسين وتتناولُ أناجيلَ الأحاد على مدارِ كلِّ السّنة الطقسية. بدأ هذا الحلم يتحقّق على يد الأب مروان عازار الذي لحنَ خمساً منها حتى الآن، وسجّلها في شرائط كاسيت. لقد اكتشفتُ، من زمنٍ بعيد، أنّ الأغنيةَ طريقٌ مُباشِرٌ إلى قلوبِ إخوتي البشر. لهذا أحببتُ ما سمّوني به: "الزاهب يَللي بيغتي". "وآلان، في محبّستي، انقطعتُ عن الغناء، لكنّي ما زلتُ أكتب، وغيري يُلحن ويغني. وأنا أصلي وأحلمُ بأن يسمعها جميعُ الناس ويردّدوها ويفرحوا بالرّب معي ويخلصوا."

كَلِمَتُهُ الْآخِرَةُ

أنا أصلي لأجل نياتِ خمسٍ أعتبرها رسالتي التي ائتمنتُ عليها في محبّستي: الأولى على نيّة راعي كلِّ أبرشيّة، والأسقف وكلِّ كهنته، والرهبان والرهبان والحركات الرسولية من كلِّ الطوائف المسيحية؛ والثانية على نيّة كلِّ أب وأمّ التّزما العائليّة؛ والثالثة على نيّة كلِّ الأطفال والشبيبة؛ والرابعة على نيّة كلِّ عائلة تُعاني مُشكلةً خاصّة؛ والخامسة على نيّة كلِّ إخوة غير المسيحيين "الذين يطلبُ منهم الأب الخوند" أن يحترّموا عيشنا المُشترَك تحت سقّف اللّهِ الواحدٍ وسَماءِ لبنان الواحدة، وأن يتعرّفوا، من خلالنا، إلى شخص يسوع المسيح الحقيقي، لِنلتقي فيه معاً. ويضيف الأب الخوند إلى هذه الصلوات "صلاتي من أجل إخوتي اليهود، طالبا لهم أن يستبدلوا لغة التهديد والقوّة بلغة الحوار والسلام، مهما كلف الأمر.

وأنهى الأب الخوند حديثه اللاهوتي ببيت شعرٍ أوّجهه إلى كلِّ إخوتي اللبنانيين، على حدّ قوله، جاء فيه:

"يسأل سؤال وما بلاقيلو جواب:
ليش اختلفنا وكيف ع كمشية تراب؟
هالأرض عم يشاعنا لما نموت،
يشاعنا ت نعيش ومنبقي خباب."



واختارَ لتلقيه تلاميذُ فقراء، وسلّمَ اليهم أعظمَ أمانةٍ ورسالةٍ عرفها التاريخُ. ويتساءلُ: "من قال إنّه لا يُمكنُ لِقادةِ الدّولِ إدارةَ شؤونِ العالمِ عبرَ عيشِ تعاليمِ يسوع وتطبيقها؟"

سَلامُ الْمَسِيحِيِّينَ

بالنسبة إلى الأب الخوند، "إنَّ شرَّ الشرور أن يكونَ المسيحيونَ أنفُسَهُم مُتخاصمين بعضهم مع بعض، ومع جيرانهم وشركائهم في الوطن، اسمحي لي بالقول: إنَّهُم ليسوا مُسالِمينَ مع أنفُسِهِم ومع المسيح الذي منهُ سلامُهُم وكلُّ سلام. لذلك هم في وضعٍ خصامٍ شاملٍ مع غيرهم. وهذا هو مُنتهى التناقض في الوضع اللبناني، وهو أن يكونَ المسلكُ السياسيّ لزعمائنا السياسيّين والمدنيين، الذين يصلون إلى مناصبهم بصفتهم مسيحيين مُتتمين إلى هذه الطائفة أو تلك، غير مُنسجمٍ مع واقعهم المسيحيّ عندما يبلغونَ هذا المنصب. بذلك، يكونون مسيحيين بالاسم لا غير.

أحلامه

أحلامُ الأب الخوند كثيرة: "لقد تحقّق أولُ حلمٍ عندما اشتركتُ في وضعِ ترجمةٍ جديدةٍ مشروحةٍ للعهد الجديد صدرت عن كلية اللاهوت الحبرية في جامعة الروح القدس - الكسليك عام ١٩٩٢. وتحقّق لي أيضاً حلمٌ ثانٍ كبيرٍ عندما شاركتُ في ترجمة صلوات الفرض الماروني في سِتّة أجزاء. ثمّ تحقّق حلمي الأكبر عند دخولي المحبسة وتكريس كلِّ وقتي للصلوة وترجمة ما أمكن من كُتب الصلوات الباقية.



مع الأب الخوند تظهرُ الطريقُ إلى اللّهِ جليّةً كالشمس. لا تردّد ولا مُراجعة. "إنّها واضحة جداً، وهي شخص يسوع المسيح الذي قال: "أنا الطريق والحق والحياة..."

مَجْدُ الْحُكَّامِ وَالسِّيَاسِيِّينَ

يرى الأب الخوند "أنّ تعدّد الطوائف والانتماءات السياسية والمذهبية في وطننا هو من أبرز تحدّيات المسيحيين اللبنانيين. ويضيف "لكنّي أراه أيضاً نعمةً فريدةً لم تُعطَ لغيرنا. فعلى أن نقدّرَها حقّ قدرها، فنصرف بحكمة، ونكون على استعدادٍ دائمٍ للحوار بكلِّ ما أوتينا من قدرّة على الإقناع والأخذ والعطاء. ولا أسمحُ لأخي المسيحيّ اطلاقاً أن يدخُل في نزاعاتٍ طائفيةٍ أو سياسيةٍ، مهما كلف الأمر؛ بل أريده أن يبقى أميناً في إيمانه، واضحاً، مُلتزماً، مُجَبّاً، وشاهداً لأنجيل ربّه يسوع بصدقٍ وفهمٍ وادراكٍ، لأنّ القيم التي يمتاز بها ثرائه الغنيّ فريدة، وتستحقُّ منه التّضال في سبيلها بمحبة واحترام كبيرين. وأحبُّ أيضاً أن يكون أخي المسيحيّ على مثال معلّمه يسوع، يتحدّى الخطأ ويبقى معصوماً عنه، ولو كلفه ذلك الموت والاستشهاد."

رِسَالَةُ الْمَسِيحِ

هل هذه الرسالة مُهدّدةٌ بالخطر في العالم الخارجيّ، بحيثُ تبدو القيمة التي جاء من أجل نشرها ضائعةً في مهبّ الريح؟ يجيب الأب الخوند: "يسوع هو المُتحدّي الأكبر في تاريخنا البشريّ. لقد نادى باسمي القيم الإنسانية والروحانية، بالمحبة والمسامحة وفعل الخير والسلام، وجعل الحُبَّ "برنامجاً" لملكوته الجديد،